المهلة الأخيرة

تأليـف

د/ حسام العقاد

رسـوم

عطية الزهيرى

مكتبة الإيمان بالمنصورة

أمام جامعة الأزهر

ت : ٣٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

دق جرس الباب دقًا متواليا، انتفض عصام الذى كان غارقا فى أفكاره، ونهض فى تثاقل وإعياء، وسار نحو الباب، وفتحه ليجد السيد وهدان أغنى رجل فى المدينة، فقال فى اضطراب:

- مرحبًا بك يا سيد وهدان. . تفضل.

قال وهدان فى غلظة وخشونة:

- لم أحضر إليك لنتسامر يا عصام. . أريد نقودى.

أطرق عصام فى أسف وخجل، وتذكر النقود التى اقترضها منه، بينما لوح وهدان بشيكات أمام وجه عصام الممتقع، وقال فى لهجته الجافة:

- اليوم موعد سداد الدين. . هل نسيت ذلك؟

قال عصام يستعطفه:

- لم أنس، ولكنك تعلم أن مصنعى احترق، وضاعت كل نقودى فى الحريق، وأنا أحاول بناء المصنع من جديد.

قال وهدان فى قسوة: - هذا لا يهمنى. .

قال عصام فى رجاء:

- أرجوك، امهلنى ستة أشهر حتى تزدهر صناعتى الجديدة ثم اسدد. . .

قاطعه وهدان قائلا فى حسم:

- سأمهلك حتى الغد، ثم أقدم الشيكات إلى الشرطة لتقبض عليك.



- ولكن . .

- لست مسؤلا عن ظروفك . . المهلة الأخيرة حتى صباح الغد .

واستدار وهدان، وهبط السلم بسرعة، فأغلق عصام الباب، ورأى ابنه الصغير يبكى، وأدرك أنه استمع إلى الحديث، فاحتضنه فى حنان، وقال فى تأثر :

- لا تحزن يا بنى . . لا تيأس من رحمة الله . . إن مع العسر يسرا .

قال أحمد فى يأس ومرارة :

- كيف ندبر كل هذا المبلغ فى يوم واحد؟

أجاب عصام فى إيمان :

- الله قادر على كل شىء

ثم تلا قول الله تعالى :

- **﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾**- [1]

استأذن أحمد من والده قائلا :

- سأتمشى قليلا خارج المنزل يا أبى .

وافق عصام قائلا :

- ولكن لا تبتعد كثيرا .

وغادر أحمد المنزل وهو يقول فى سره دعاء مغادرة المنزل :

«بسم الله توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله».

---

(١) سورة الطلاق : الآية ٣ .   حسبه : أى كافيه .



وسار وهو يفكر فى ضائقة أبيه، ووصل إلى الطريق، وجلس على صخرة ضخمة، وفكر:

ـ لو كنت كبيرا لساعدت أبى، وعملت معه حتى نتجاوز المحنة.

وانسابت دموعه من عينه وهو يتخيل السيد وهدان قد حضر ومعه رجال الشرطة للقبض على أبيه..

وشعر بالعجز، فرفع كفيه إلى أعلى، ودعا الله من أعماق قلبه الصغير فى إيمان:

ـ اللهم فرج ضائقة أبى، اللهم سدد دينه وانقذه يارب العالمين.

وجفف دموعه، وامتلات نفسه بالأمل، بعد أن شكا حاله لله، وسمع صوت سيارة قادمة، وصوت حركة غريبة، نظر فرأى أربعة رجال أشداء وهم يسدون الطريق أمام السيارة القادمة..

شعر أحمد بالخوف، واختبأ خلف الصخرة ليراقب ما يحدث، فرأى السيارة تتوقف، وهبط قائدها، وقال للرجال:

ـ السلام عليكم ماذا تريدون؟

وفوجىء بالرجال يهجمون عليه، وضربه أحدهم حتى أفقده الوعى، وقال لرفاقه:

ـ ها هى الحقيبة.

قال رجل آخر: ـ لنأخذها ونهرب.

وأحضر حقيبة سوداء من داخل السيارة، وتلفت حوله فى



حذر، ثم قال:
ـ لنر ما فيها.
وفتحها فإذا بها ممتلئة برزم مالية..
وبرقت عيون الرجال الأربعة فى طمع وجشع..
قال الأول: ـ لا بد أن نخفى النقود فى مكان بعيد.
قال الثانى: ـ نحن أول المشتبه فيهم، ولا شك أن رجال الشرطة سوف يفتشون منازلنا.
أشار الثالث إلى صخرة بارزة، وقال:
ـ نضعها تحت هذه الصخرة.
وافق الرابع قائلا: ـ فكرة مدهشة.
وأسرعوا نحو الصخرة، وتعاونوا على رفعها، وأخفوا حقيبة النقود فى حفرة أسفلها، ثم ابتعدوا بسرعة، وكان أحمد يراقبهم وأنفاسه تتلاحق، والافكار تتصارع فى رأسه الصغير..
وسمع صوتا يوسوس له:
ـ هذه النقود تحل المشكلة وتنقذ والدك.
هز أحمد رأسه رافضا، وصاح:
ـ إنها نقود مسروقة، نقود حرام.
عاد الصوت يوسوس له:
ـ لست أنت سارقها، إنك عرفت طريقها فأخذتها.
صاح أحمد وهو يقاوم هذه الأفكار:
ـ النقود الحرام لا تحل المشكلة أبدا.



واستشعر أحمد ضيقا، لمحاولة الشيطان الوسوسة إليه بالشر والسوء، وتذكر دعاء علمه له والده، وقال له وهو يعلمه:

- كان رسول الله ﷺ يدعو بهذه الكلمات ليتوكل على الله وليحفظه الله سبحانه وتعالى.

ورفع أحمد كفيه، ودعا الله قائلا:

« اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم إنى أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت أن تضلنى، أنت الحى الذى لا يموت، والجن والإنس يموتون »[1]

وأسرع أحمد إلى صاحب السيارة، ومكث بجواره حتى أفاق، وقال له:

- رأيت اللصوص وهم يخفون الحقيبة والنقود تحت هذه الصخرة.

وأشار إلى الصخرة، ثم عاون الشاب على النهوض، واتجها إليها، وتعاونا على رفعها، وأبصرا الحقيبة، فهتف الشاب:

- الحمد لله.

وشد على يد أحمد فى حرارة، وقال فى امتنان:

- جزاك الله خيرا، أنت طفل أمين، كان من الممكن أن تهرب بالنقود.

قال أحمد: - هيا.. خذ الحقيبة، وابتعد قبل عودة اللصوص.

أجاب الشاب:

- سأتركها هنا وأبلغ الشرطة لنعد فخا لهم، ونضبطهم

(١) **حديث صحيح**: أخرجه البخارى (١١/٦٣١٧)، ومسلم (٢٧١٧).


الصبر
جميل

وهم يحاولون إخراجها فنقبض عليهم.

وأعاد الصخرة إلى موضعها، وقال الشاب:

- سأحضر إليك مكافئة غدا.

قال أحمد رافضا: - لا أريد مكافئة.. لم أفعل غير واجبى.. المسلم لا ينتظر أجرا على خير فعله أبدا.

وابتعد مسرعا، وعاد إلى والده، فقص عليه ما حدث، فابتسم الأب فى رضاء، وقال:

- الحمد لله الذى نصرك على الشيطان.. أنا فخور بك يا بنى.

وشعر أنه قلق، فقال:

- يا أحمد، ألم أعلمك كيف يتوكل المسلم على الله؟

- بلى يا أبى، المسلم يسعى ويعمل، ويترك النتائج لله سبحانه وتعالى.

- وليس معنى التوكل أن نجلس دون عمل ونظن أن هذا هو التوكل على الله، وأنه سيرزقنا دون أن نبحث، أو أن نترك المذاكرة ونقول أننا سننجح بتوكلنا على الله.

أومأ أحمد برأسه، وقال:

- التوكل هو العمل بجد، والاعتماد على الله فى كل أمور الحياة، والله أعد للمتوكلين أجرا عظيما فى الدنيا والآخرة.

قال عصام فى إيمان: - والتوكل من صفات المؤمنين:

قال تعالى: -﴿**وعلى الله فليتوكل المؤمنون**﴾ - (١)

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ١١.



وإذا عزم المسلم على أمر ما، فلا بد أن يتوكل على الله.

قال تعالى: ـ﴿**فإذا عزمت فتوكل على الله**﴾ـ (١)

وعلمنا رسول الله ﷺ كيف نتوكل على الله، وضرب لنا مثلا بالطيور، فهى تغادر أعشاشها فى الصباح وهى جائعة ضامرة البطن، وتعود فى نهاية اليوم وبطونها ممتلئة بالطعام، فهى تتوكل على الله سبحانه وتعالى:

قال: ﴿ **لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصا، وتعود بطانا**﴾. (٢)

وجزاء من يتوكل على الله الجنة، لقوله ﷺ:

«**يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير**» (٣)

ومعنى أفئدتهم مثل أفئدة الطير أى متوكلون على الله، فهم بإيمانهم لا يقلقون لما سيحدث فى الغد، ولا يحملون هما لأمر من أمور الدنيا، إنهم كالطير التى تسعى كل يوم متوكلة على الله سبحانه وتعالى.

قال أحمد فى إيمان: ـ حسبى الله ونعم الوكيل.

ومر اليوم، واستيقظ قبل الفجر، وعندما ارتفع صوت المؤذن، أسرع إلى الجامع مع والده، ودعا الله بقلب مؤمن خاشع، وعاد إلى المنزل، وجلسا ينتظران، وفى الساعة العاشرة حضر السيد وهدان، ومعه رجال الشرطة، وقال:

ـ هل جهزت النقود.

أطرق عصام، فتقدم أحد رجال الشرطة منه، فصرخ أحمد:

(١) سورة آل عمران: الآية ٥٩.   (٢) **حديث صحيح**: أخرجه الترمذى (٢٣٤٥).

(٣) **حديث صحيح**: أخرجه مسلم (٢٨٤٠).



- أبى . . أبى . . لا . . لا . .

وفجأة دوى صوت قائلا: - ماذا يحدث هنا؟

وتحولت الوجوه نحو مصدر الصوت، فإذا هو الشاب الذى أنقذه أحمد، وتقدم منه، فهتف وهدان وهو ينظر إلى الشاب:

- من؟ ابنى؟ ما الذى أتى بك إلى هنا؟

أجاب الشاب:

- حضرت لأشكر أحمد الذى أعاد إلىّ نقودى أمس.

هتف وهدان فى دهشة: - أهو الذى أنقذك؟

- أجل، هو أنقذنى وأنت تريد أن تسجن والده، كان بالحقيبة مبلغ ضخم، أكثر عشر مرات من الدين، ومع ذلك لم يفكر فى أخذه. قالها الشاب فى عتاب ولوم، فأخرج وهدان الشيكات، ومزقها وهو يقول:

- أنا آسف، ها هى الشيكات، لتعتبر الدين مكافئة لإعادة النقود.

قال عصام فى صدق: - جزاك الله خيرا، ولكن الدين أمانه فى عنقى، ساسدده لك بعد ستة أشهر. . وهى مهلة أخيرة إن شاء الله.

واحتضن أحمد وهو يقول فى إيمان: - أرأيت جزاء من يتوكل على الله. . الحمد لله. . الحمد. . لله.

وبدأ عصام عمله بجد وحماس، وعوض خسائره، ونمت صناعته، وتوالت أرباحه، وسدد دينه فى الموعد المحدد.

تمت بحمد الله